

التبيان في تفسير القرآن

(357) تفضلا منه وزيادة في الانعام عليهم. قوله تعالى: ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب بي فانتظروا إني معكم من المنتظرين (20) آية حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آية وأرادوا بذلك أنه يضطرهم إلى المعرفة ولا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال، ولم يطلبوا معجزة يستدل بها على صدقه، لأنه قد كان أتاهم بالمعجزات التي تدل على صدقه فلم يجبههم الله على التمسوه، لأن التكليف يمنع من الاضطر إلى المعرفة، لأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب. واو عرفوا الله تعالى ضرورة لما استحقوا ثوابا فكان ذلك ينقض غرضهم. وقال ابو علي: طلبوا آية سوى القرآن. والاصل في (لولا) امتناع الثاني لكون الاول كقولك: لو لازيد لجئتك فخرجت إلى معنى التحريض بأنه ليس ينبغي ان يمتنع ذا لكون غيره قوله " فقل إنما الغيب بي " معناه إن ما لا تعرفونه ولا نصب لكم عليه دليل يجب أن تسلموا علمه إلى الله، لأنه العالم بالخفيات وما يكون في المستقبل، فلاجل ذلك لا يفعل الآية التي اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير ووجه المصلحة. والغيب خفاء الشئ عن علم العباد، والله تعالى عالم الغيب والشهادة لأنه عالم لنفسه يعلم الاشياء قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية. وقوله " فانتظروا " معناه انتظروا ما وعدكم الله من نصر المؤمنين وقهر الكافرين وانزال الذل العقاب بهم إن أقاموا على كفرهم ف " إني معكم من المنتظرين " لذلك.